المحاضرة الأولى: مفهوم البحث وخصائصه وأهلية القيام به وغايته

1- تعريف البحث والبحث العلمي: *(Research):*

البَحث لَفظ مُؤلَّف من مَقطعين:*Re*و*Search*، تُعرِّف القواميس المقطع الأول(*RE*) بـ: ثانية، مرَّة أُخرى، مُجَددا. والمقطع الثاني(*Search*)بـ: الفحص، التحقيق بدقة، والاختبار بالمحاولة. وبِجمع هَذين المقطعين يُقْصد بلفظ البحث: الوصف بعناية وبنظام، والدراسة السببية في حقل من حقول المعرفة للكشف(تأسيس) عن الحقائق والمبادئ.

يَعني البحث التوفيق بين القُدرات الخَاصّة والنشاط الذّاتي المبدع الخلاّق، وبين المعلومات المُقمشة أو المستفادة، بأسلوب مُؤثر، مُبتكر، واضح، بسيط، ودقيق، يُبتعد عن الغموض، والحَشو، والإطناب، والاسْتطراد، وزَخارف اللّفظ، ويحسن الربط بين الأفكار عن طريق التحليل المنطقي، والبرهان العقلي، والترابط العلمي، بحيث يَشدّ انتباه القَارئ، ويَجذبه جذبا للاطلاع عليه ومتابعته منذ البداية حَتّى النهاية.

والبحث هو الجَهد الذي يبذله الباحث تفتيشاً وتنقيباً وتحقيقاً وتحليلاً ونقداً ومقارنةً في موضوع ما، من أجل اكتشاف الحقيقة أو الوصول إليها، وليس للبرهنة على شيء ما أو إثبات أمر ما أو تأييد أمر ما يتفق ورؤيته وميله. وحتى يَسْتحق "التقرير" اسم **"البحث"** لابد وأن يُساهم في نتائجه وخواتيمه في نُمو المعرفة وتطويرها وزيادة الاقتراب من الحقيقة، لأنَّ البحث في نهاية المطاف ليس معناه عرض الحقائق المعروفة، وإنّما هو اكتشاف الحقائق المجهولة بمعنى أنّهُ كلّ إضَافة إلى العلم والمعرفة.

ويُعرِّفه (*burns, 1942*)*بأنّه*: التحقيق المُنَّظم لإيجاد إجابات لمشكلة ما. ووفقا لـ (*kerlinger, 1986*) : فإنَّ البحث العلمي هو: التنظيم والتجريب المضبوط والفحص النَّقدي للقَضايا (الافتراضات) لِتخمين أو تقدير العلاقات لمختلف الظواهر). والبحث في تعريفه المُبَسَّط هو إحدى الطرق لإيجاد إجابات لأسئلتك. ومن ثمّ فإنّه:

- يَجْرِي في إطار مجموعة من الفلسفات التي تَنْبع من عدة مداخل ونماذج (الوضعية على سبيل المثال).

- يَسْتَخْدِم إجراءات ومناهج وتقنيات لاختبار الصِّدق والثبات. إنّ مفهوم الصِّدق يمكن تَطبيقهُ في أيّ جانب من عمليات (خطوات) البحث، إنّه يَضْمن للدّراسة البحثية بأن تُؤدِّي الإجراءات الصَّحيحة التي تَم تطبيقها إلى إيجاد إجابات للأسئلة المطروحة. أمّا الثبات فيشير إلى: نوعية القياس الإجرائي الّذي يُوفِّرُ عُنصري التِّكرار والدِّقة .

- البحث مُصَمَّم لِيكون هادف (موضوعي) وغير مُتَحيِّز. ويُقصد بذلك أنّه عندما تَقوم بأية خطوة في البحث يجب أن تكون غير مُتحيز وتَحْصل على النتائج بأفضل قُدرة لك، ودون إدخال اهتمامك المكتسب والخاص. إنّ الموضوعية هي جزء مُكَمِّل من طَريقَتك في التفكير والمُحدَّدة بِخلفيتك التربوية، وبالضوابط، والفلسفة، والتجربة والمهارات. **أمّا التحيز فهو:** المحاولة المتعمدة لإخفاء أو تسليط الضوء على شيء مُعين. إنّ الالتزام بالمعايير الثلاثة المشار إليها أعلاه يُمْكن أن يُكَوِّنُ ما يُسَّمى بالبحث. وعلاوة على ذلك، عندما تَقُول بأنك تقوم ببحث من أجل إيجاد إجابة لسؤالما ، فهذا يعني أنّ المناهج التي تَتَبَّناها تَفي بتلك التوقعات.

2- مُفهوم الصِّدق والثَّبات في البَحث العلمي:

أ-مُفهوم الثَّبات:

لِنَتَصَور أنّ رب أسرة يَعْمُد في أوّل كانون الثاني من كل عام إلى قياس أطوال أطفاله باستخدام مقياسالمتر(مصنوع من النسيج) ويَضع علامة صغيرة على الحائط، فعند قيام الأم بالعملية ذاتها مستخدمة في ذلك مقياس المتر ذاته الذي استخدمه الأب وحصلت لكل طفل على العدد نفسه من السنتيمترات التي كان قد حصل عليها الأب، في مثل هذه الحالة نقول أنّ القياس ثابت، إنَّ الأداة (المتر) التي تم تطبيقها على الأطفال موضوع الملاحظة ومن خلال مُلاحِظون مُختلِفُون تُعطي الرّقم نفسه، إذن هنا مُعامل الثبات بين مقياس القامة والمتر سيكون مرتفعا جدا. ولنسلّم بأنَّ روح المنافسة بين الأطفال جادَّة تَدفع أحد الأطفال إلى الوقوف على رؤوس الأصابع أو بشكل لاشعوري إلى أن يَتنفس بعمق حينما تقيسه أمُّه. إنَّ المُلاحِظُ سَيزوّر النتيجة التي لن تصبح صحيحة، لأنَّها ليست مُطابِقة للنتيجة السَّابقة. ولِنَتَصَوّر الأب الذي نَسي نظَّارته يرى الأرقام بشكل سيء ويسجل 7 بدلا من 5. إن المُلاحِظ في مثل هذه الحالة سيكون السبب في عدم ثبات الملاحظة. فخطأ الأب عشوائي؛ إنه يُدَوّن أحيانا رقما أعلى وأحيانا أخرى رقما أدنى. في حين أن الخطأ في حالة الطفل الذي يَرْتفع عندما تقيسه أمُّه هو دائما في الاتجاه نفسه وهو يُكَوّنُ ما نسمّيه انحرافا (Bias) ". إنَّ الثَّبات يَكْمُن إذاً في تطابق المُلاحظات التي أجراها بمساعدة الأدوات نفسها مُلاحِظُون مُختلفون، على الموضوعات ذاتها". بناءا على ما سبق يُشَكِّلُ الثبات نوعا من الضَّمان لِدقَّة النَّتائج.

ب- مُفْهُوم الصِّدق:

تَخَيَّل الآن المتر وقد استعمله الأب أو الأم أو الأخ الأكبر أو الجدة فَإنّهُ يُعطي النتائج نفسها بغض النَّظر عن الشخص الذي اسْتعْملهُ، ولكن هذا المتر (الأداة) مُسْتَهْلَك قليلاً وكانتا السنتيمترات الأولان منه غير موجودتين، ففي مثل هذه الحالة يَقيس جيدا السنتيمترات ويبدو ظاهريا صادِقا ولكن النتائج ليست دقيقة، فحسب المثال السابق فإنَّ قياسات الأطفال جميعا تزيد بمقدار (2سم) على الواقع الحقيقي. إذن الأداة وهي المتر ليست صادقة. لنفترض في الأخير أنّ الجدّة التي تختلط عليها الأشياء بعض الشيء تريد استخدام ميزان لقياس قامات الأطفال، فالأداة وهي الميزان دقيق بالنسبة لقياس الأوزان وهو صادق بلا شك، ولكنّه ليس ملائما لمعطى القامة الذي نريد جمعه والحصول عليه، إنّه ليس صادقا. وعليه يتحدّد مفهوم الصّدق عادة تبعا لاتجاهين متكاملين.

منطقيا: تكون أداة ما صادقة إذا كانت تقيس بدقة ما تَهْدِفُ لقياسهِ، وهذا يتطلب تعريفا للصّفة الخاضعة للقياس، فقياس موقف فاشي أو استعداد للتذكر يتطلب تعريفا للفاشية والذاكرة.

وخبريا: تكون أداة ما صادقة ما دامت تُتيح التنبؤ بدقة، وذلك تِبَعا للنتيجة أو "مجموع النقاط" التي حَصل عليها الموضوع بخصوص الصِّفة المَقصودة بما سَيكون عليه سلوكه اللاّحق في موقف تعمل فيه الصِّفة ذاتها.

يتطلب الثبات دوام صفة الأداة وانتظام استعمالها وهي تبحث عن مؤشر موافق أمل بالحقيقة في تشابه النتائج التي توصل إليها أشخاص مختلفون.؛ أمّا الصّدق فيتطلب دقة النتيجة بالقياس إلى الهدف المنشود والتطابق مع الواقع المختار.

"إنَّ تقنية صَادقة لها كُل الحُظوظ في أن تكون ثابتة، إذا أُعِيدت العملية نفسها، في حين أنَّ تقنية ثابتة يُمكن أن تكُون غير صادقة" .

3- خصائص البحث العلمي وفي أهلية القيام بالبحث وغايته:

أ- خصائص البحث العلمي:

مِن خلال التعريفات السابقة للبحث يُصبح من الواضح بأنّ البحث هو عملية تَجْرِي لأجل جمع وتحليل وتفسير المعلومات (البيانات) للإجابة على الأسئلة المطروحة، ولكي يكون البحث بحثا ينبغي أن يَتَّسِم بخصائص معينة، فَيَنْبَغي أن يَتّضسِم بِقدر الإمكان بـ: التَّحكُّم (الضبط)، والصَّرامة، والتنظيم، والصِّحة، وإمكانية التَّحَقُّقُ، والتجريب، والنَّقد.

- **مَعنى التحكُّم:** في الواقع الحياتي، هناك العديد من العوامل التي تُؤَثِّر في المُخْرجَات، الحَدث الخاص هو أنّه قلّما تَجِدُ العلاقة تَنْتُج من شخص وإلى شخص آخر، فبعض العلاقات تكون أكثر تعقيدا. إنّ معظم مُخرجاتنا هي تابعة لتفاعل عدد مُضاعف من العلاقات والعوامل. في دراسة العلاقة: (سبب – نتيجة)؛ إنّه من المُهِم أنْ تَكون لديك القدرة في ربط الأثر بالسبب والعكس. تأسيس هذه الصّلة في الدّراسات السببية هو في غاية الأهمية، ولكن، ومن ناحية التطبيق، وبشكل خاص في العلوم الاجتماعية؛إنّه من المستحيل والصّعب للغاية خَلْق هذه الصِّلة.

يَعنِي مفهوم التحكّم أنّه لاكتشاف العلاقة السببية بين متغيرين، عليك أن تَضْبِط دراستك بطريقة التي تُصَغِّرُ فيها إلى الحَد الأدنى من آثار العوامل التي تُؤَثِّر في العلاقة المَبْنِيَة، هذه العملية تكون مُمْكِنة الانجاز في العلوم الفيزيائية حيث تَجْرِي مُعظم الأبحاث في المخابر. أمّا في العُلوم الاجتماعية فالأمر صَعب كما هو الشَّأن بالنسبة للأبحاث التي أُجْرِيت على قضايا تتعلق بالبشر الذين يعيشون في المجتمع حيث الضوابط مُستحيلة. علاوة على ذلك، في العلوم الاجتماعية لا تَستطيع ضبط العوامل، إنَّكَ سَتَصْطَدِم بحجم كبير منها(يقصد الناحية الكمية لها، ومن ثم تأثيراتها).

ب- أهلية القيام بالبحث:

في أهلية القيام بالبحث يقول الإمام النووي: " وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف من لم يتأهل له، فإنَّ ذلك يضرّه في علمهِ ودينه وعرضه". ويقول الإمام أبو عمرو بن العلاء: " إنّ إنسان في فسحة من عقله، وفي سلامة من أفواه النّاس، ما لم يضع كتابا أو يقل شعرا". وقال العتابي: " من وضع كتابا، فقد استشرف للمدح أو الذَّم فإنْ أحْسن فقد اسْتُهدِف للحسد والغيبة، وإنْ أساء فقد تعرض للشتم واسْتُقذف بكل لسان". وقد حدّد إمام الجليل "أبو محمد بن حزم" في كتابه "التقريب لحد المنطق" سبعة اعتبارات ضرورية في كتابة البحث، وقد لخصها وبسطها ابن خلدون في مقدمته وذكرها على النحو التالي:

- استنباط العلم بموضوعه، وتقوم أبوابه وفصوله، وتتبع مسائله أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق يحرص على إيصالها لغيره لتعم الفائدة به.

- أن يقف على كلام الأولين وتواليفهم فيجدها مستغلقة على الإفهام، ويفتح الله له فهمها، فيحرص على إبانة ذلك لغيره.

- أن يعثر المتأخر عن الغلط أو خطأ في كلام المتقدم، ممن اشتهر بفضله، وبعد في إفادة صيته، ويستوثق من ذلك بالبرهان الواضح، والذي لا مدخل للشك فيه، ويحرص على إيصال ذلك لمن بعده.

- أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل وفصول، بحسب انقسام موضوعه، فيقصد المطلع على ذلك أن يتم ما نقص من تلك المسائل.

- أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة، فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها، ويجعل كل مسألة في بابها.

- أن تكون مسائل العلم مفرقة من أبوابها في علوم أخرى، فينتبه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن، وجمع مسائله، فيفعل ذلك ويظهر به فن ينظمه.

- أن يكون الشيء من التواليف التي أمهات الفنون مطولا مسهبا، فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك باختصار والإيجاز، وحذف المتكرر إن وقع، مع الحذر من حذف الضروري من لئلا يخل بمقصد المؤلف الأول.

ج- غاية البحث:

البحث سواء كان مقالة متخصِّصة أمْ رسالة أمْ أُطروحة غايته واحدة وهي الانطلاق من حيث انتهى إليه الغير والإسهام في زيادة المعرفة الإنسانية، وقد يتجلى هذا الإسهام في: دراسة أَحد الموضوعات الشائكة أو المعقدة، أو في اكتشاف حقائق جديدة، أو اكتشاف عوامل أو أسباب جديدة غير معروفة لحقائق موضوعات قديمة متعارف عليها، أو خلق موضوع جديد من موضوعات متناثرة وترتيبها بصورة مبتكرة جديدة ومُفيدة، أو فَهمٍ جديدٍ للتراث عن طريق قراءة جَديدة له بطريقة بحث مُغايرة للطرائق المعروفة.